كلمة الشيخ مشهور بن حسن في المقبرة عند دفن شقيقته.

اليوم نحن ندفن أختي، نسأل الله لها الرحمة ، ولكن غداً سندفن نحن في القبر ، فالسعيد من وُعِظَ بغيره.

الإنسان دعا الله عليه ، فقال : {قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18)} [عبس : 17-18]

تأمل من أي شيء خلقت ؟!

تأمل ما هو مصيرك؟!

تأمل حياتك؟.

فالإنسان خُلِق من ماء مهين ، وفي الحياة في بطنه العَذرة ، وفي الممات يموت ويُدفَن في القبر ، ويُترَك وحده.

والإنسان إذا تُرِك وحده ؛ فلا يؤنسه إلا عَملُه.

فالإنسان يموت ، ويتبعه خدمه ، وحشمه ، ودوابه –قديماً– ، وسياراته حديثاً ، ويتبعه أهله ، ويرجع اثنان ، ويبقى واحد ، والواحد الذي يبقى إنما هو العمل الصالح.

فالإنسان يأنس قبره بعمله الصالح ، والمؤمن كما قال الله عز وجل :{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [الأعلى : 17]

سبحان الله!

ما أعدل الله ، وما أحكمه!

أول ما يأتي المولود : يأتي وهو يبكي ، ومن حوله يضحك وفَرِح ، ولما يغادر هذه الحياة ؛ إن كان مؤمناً يغادرها وهو يضحك ، وهو مسرور ، ومن حوله يبكي.

ومن مهانة الدنيا على الله: أن الإنسان لَما يموت أحب الناس اليه هم أكثرهم عجلةً في قبره ، ودفنِه ، ووضعِه في قبره ، وإهالة التراب عليه.

من الذي يعمل على إهالة التراب على الميت ؟

أهله وأحباؤه ، وأقرب الناس إليه.

الإنسان في هذه الحياة هي حياة مهما طالت ؛ فعمرها قصير.

يا ابن آدم!

اتعظ ، تَفكَّر ، ما هو مآلُك ؟

وماذا قدمت لهذا المآل ؟

ماذا فعلت إن قابلت الله عز وجل؟!

المؤمن سيسأل ؟

والذي يجيب ليس اللسان ، وليست البلاغة.

يُسأل العربي ، ويُسأل الأعجمي ، والذي يعرف العربية ، والذي لا يعرف العربية.

يُسأل : من ربك ؟

قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الإنفطار : 7]

ربك الذي رباك ، وأحسن إليك ، ربك سبحانه وتعالى ، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يغيب عنه شيء –سبحانه وتعالى–.

تسأل من ربك ؟

هذا الرب ماذا أديت له ؟

هل ذكرته؟

هل عظمته ؟

هل عظمت أمره ؟

عملك الذي ينطق ،كثير من الناس لا يبالي بالرب أبداً ، ولا يعظم أوامر الله أبداً ، وبعض الناس –نسأل الله العافية– يشكو من الرَّب –نسأل الله عز وجل العفو والعافية–.

من ربك ؟

ما دينك ؟

دينك الذي ينبغي أن يكون أغلى من نفسك ، وأغلى من كل شيء عندك.

ما دينك ؟

الإسلام.

ما هو الاسلام ؟

أن تستسلم لأمر الله ، وأن تخضع إليه ، فإن لم تخضع إليه بالاختيار ؛ فإنك ولا بد أن تخضع له بالاضطرار.

فالعبيد كلهم الله يقهرهم ، والله يقهر عباده بالموت –سبحانه وتعالى–.

من نبيك ؟

نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، صلى الله عليه وسلم.

مُحَمَّد وأحمد

مُحَمَّد: الذي جمع الله تعالى له جميع الخصال الحميدة.

وأحمد : الذي بلغ في كل خصلة من الخصال الغاية ، والقدوة.

قال الله عز وجل: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..} [الأحزاب : 21]

لا أسوة لنا إلا في رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

من الذي يجيب إن وضع في القبر؟

الجواب : الذي يُعِدُّ بعمله جواباً لمثل هذه الأسئلة.

وهذه الأسئلة لا يعرفها إلا المؤمن بربه.

أما الكافر : فكما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلد ، إذا سُئل الكافر :من ربك ؟

قال : آه آه ، لا أدري ، لا أدري.

وكذلك في من دينك؟

وكذلك في من نبيك؟

لا يدري .

الملحدون –قاتلهم الله–.

الملحد لو سألته من أين جئت ؟

وإلى أين أنت ذاهب ؟

ولماذا خلقت؟

ما الغاية من هذا الخلق ؟

أسئلة أربعة :

من أين ؟ وإلى أين ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

أسئلة أربعة ، لن تجد لها جواباً إلا في الإسلام.

(الكفار ، والنصارى ، واليهود) ، الذين يعيشون في بلاد الغرب : لا يؤمنون بالآخرة ، ولا يؤمنون ببعث الأجساد ، ولا يؤمنون بعذاب القبر.

انظر إلى حياتهم ، جميع حياتهم شهوات ، ويعتبرون أن هذه الدنيا هي جنتهم ، ولا جنة بعدها.

ولذا –نسأل الله عز وجل العفو والعافية– لا يعرفون الحلال والحرام ، بل لا يعرفون الأرواح التي تقتل الآن في فلسطين (في غزة).

ماذا يصنع يهود ؟

يهود في كتبهم في توراتهم ، يعتقدون أن الله خلق الخلق حمير –أجلكم الله– من أجلهم ، ليقضوا عليهم كالحمير حاجاتهم ، إلا المرأة الحسناء ، إلا المرأة الحسناء ليتمتعوا بها ، وما عدا ذلك هم حمير.

ولذا ترون ماذا يصنعون بأهل غزة ! كان الله لهم.

أسأل الله يا رب أن تكون للضعفاء من المسلمين في كل مكان ، يا رب نجي إخواننا في غزة وارحمهم ، وارحمهم واحفظ ارواحهم وامن روعاتهم ، واستر على عوراتهم ، اللهم آمين.

اليهود لا يؤمنون بالآخرة.

اليوم الآخر محرك دائم للقلب في التوجه للعمل الصالح.

أول العمل الآخر القبر ، أول العمل الإيمان باليوم الآخر القبر.

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يُذكر عنده الجنة والنار ؛ فلا يبكي ، ولَما كان يُذكر عنده القبر ؛ يبكي.

فيقال : يا أمير المؤمنين يُذكَر عندك الجنة والنار ولا تبكي ، وتذكر القبر فتبكي؟!

قال القبر هو أول منازل الآخرة ، إن حَسُن وصَلُح ؛ فما بعده أهون منه.

يا تارك الصلاة !

يا يا من لا تتق الله!

يا من أنت قاطعا لرحمك !

يا من أنت تاركاً لأوامر ربك!

اعلم أنك ستموت ، ستدفن وستسأل.

الله يقول عز وجل : {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)} [الزخرف : 44-45]

سوف نسأل عند الله عز وجل ، فهذا السؤال أمر لا مفر منه ، كل نفس ذائقة الموت ، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك الجلال والإكرام.

فالموت أول منازل الآخرة ، والعاقل ينبغي أن يتذكر الموت.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان لابن آدم واد من ذهب ، لتمنى أن يكون له واديان ، ولو كان له واديان لتمنى أن يكون له ثلاثة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب.

الذي يوضع في القبر ، ثم ينهال عليه التراب ؛ هذا الذي يملأ عينه.

فالواجب علينا أن نحرص على أخرانا ، وأن نقدم الآخرة الباقية على الدنيا الفانية.

ورحم الله من قال من سلفنا الصالح قال: لو كانت الآخرة من خزف ، والدنيا من ذهب ؛ فكان واجباً على العاقل أن يقدم الباقي على الفاني ، لأن الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، فكيف والآخرة من ذهب؟!

والدنيا من خزف ؟!

فكيف والآخرة الباقي من ذهب ، والفاني من خزف؟!

فالواجب علينا أن نتعظ ، والواجب علينا إن تعارض في الدنيا والآخرة ؛ أن نقدم أمر الله سبحانه وتعالى ، على أمر غيره ، والواجب علينا أن نعظم ما عظم الله ، وأن نُحقِّر ما حقر الله.

آفة الناس ومصائبهم هذه الأيام يعظمون ما حقر الله ، وبعضهم يزداد جريمة قد توصله إلى الخروج من الملة ، يُحقِّر ما عظم الله ، هذه جريمة كبيرة ، فأسأل الله جل في علاه أن يرحم ميتتنا ، اللهم إنها مقبلة إليك ، محتاجة إلى رحمتك ، وأنت غني عن عذابها ، اللهم إن كانت محسنة ؛ فزد في حسناتها ، وإن كانت مسيئة ؛ فتجاوز عن سيئاتها ، هي وسائر المسلمين ، ورحم الله من دفنه إخواننا ، أسأل الله أن ان يرحم الأموات جميعاً ، وأسأل الله جل في علاه أن يباعد بينهم وبين خطاياهم ، كما باعد بين المشرق والمغرب ، وأن يغسلهم من خطاياهم بالماء والثلج والبرد ، وأن يبدلهم داراً خيراً من دارهم ، وأهلاً خيراً من أهلهم ، ومسكناً خيراً من مسكنهم ، وأن يغفر لهم ، وأن يوسع مدخلهم ، وأن يقيهم عذاب القبر ، وعذاب النار.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.